الأهداف والمناهج الدراسية في العلوم الإسلامية

بقلم أ.د/ بوفلجة غيات

تطورت الأهداف التربوية مع مرور الزمن وتطورت العلوم، وهكذا تحوّلت أهداف التربية من الطرق التقليدية، المتمثلة في الرغبة ليصنع الفرد العالم الذي يحيط بقدر كبير من القضايا، ويخزن في ذاكراته كمية كبيرة من المعلومات، إلى تربية عصرية تهدف إلى تكوين أفراد لهم القدرة على التكيف والتعلم واستخلاص النتائج والأحكام والإبداع في إيجاد الحلول للمشاكل المطروحة.

وقد برزت الحاجة إلى تطوير المناهج الدراسية لمسايرة الأهداف التربوية، حتى تصبح أكثر تفتحا على الواقع، وأكثر تركيزا على أساليب التعلم الذاتي، من خلال استعمال الكتب ووسائل التعلم.

لقد تطورت المؤسسات التربوية الإسلامية وظهرت مؤسسات عصرية، من حيث أبنيتها ووسائلها وطرق تنظيمها، إلا أن أهدافها ومناهجها وطرق التدريس بقيت تقليدية في غالبيتها، رغم تطور العلوم وتغير المحيط وأهداف التربية بصفة عامة.

يتطرق هذا الموضوع إلى خصوصيات أهداف التربية وممارستها، ومقارنتها بما هو سائد في مناهج العلوم الإسلامية، واقتراح أساليب جديدة يجب تبنيها في تدريس العلوم الإسلامية عموما.

أما طرق التدريس المعتمدة، فتعتمد بالدرجة الأولى على الإلقاء، حيث أن العالم أو الشيخ أو الفقيه يقدم الدروس، بينما يقتصر دور الطالب على تلقي المعرفة، وبالتالي يكون دوره سلبيا. تستمرّ هذه الممارسات إلى أن يصل الطالب إلى مرحلة يبدأ فيها بدوره في إلقاء الدروس في الكتاب أو المسجد قبل الالتحاق بالتدريس بالمدرسة أو الجامعة.

رغم ما عرفه تطور مؤسسات التعليم الإسلامي من حيث الهياكل وأساليب التنظيم الإداري، وارتفاع المستوى العلمي للأساتذة-من حيث الشهادات على الأقل-، إلا أن مناهج الدراسة وطرق التدريس لم تواكب هذه التطورات. إذ بقيت المناهج كثيفة، وبقي الإعتماد على الطرق الإلقائية في التدريس، وتدعيم ملكة الحفظ.

الأهداف المعاصرة للتربية:

تطورت المعرفة وتراكمت البحوث إلى درجة أصبح من المستحيل الإلمام بها كلها. لهذا ظهرت تخصصات وشعب علمية دقيقة التخصص. ومع ذلك فإن تجديد المعرفة وتغير المعطيات في عالم سريع التطور، عوامل أدت إلى انتقال أهداف التربية من الرغبة في إيجاد الفرد العارف والغزير المعرفة، إلى إيجاد فرد يتحكم بالدرجة الأولى في تقنيات الإتصال وأساليب البحث والقدرة على التكيف مع التغيرات ومواجهة المستجدات، مما يكسب المواطن المعاصر قدرة على مسايرة الواقع.

ومن الجوانب التربوية التي تأثرت بذلك، نجد مناهج الدراسة وطرق التدريس.

الأهداف التقليدية في تدريس العلوم الإسلامية

جاء الإسلام الحنيف بالرسالة المحمّدية التي تدعو إلى عبادة الخالق وفق شروط الشريعة، والتقيد بالمعاملات الإسلامية.

لقد كانت الحياة مستقرة والتطورات العلمية بطيئة، لذلك كانت عمليات تدريس الشريعة والعلوم الإسلامية، تعتمد مناهجا وطرق تقليدية. إذ أن الهدف كان تكوين فقهاء يحفظون القرآن الكريم إلى جانب مجموعة من الأحاديث الشريفة والأحكام، وهو ما يكفيهم للعمل كأئمة أو قضاة، وفي أحيان قليلة كدعاة. وقد كانوا يتعاملون مع مجتمعات مستقرة تتصف بالأمية والحياة البسيطة في القرى والمداشر الهادئة، وكانت المشاكل المطروحة محدودة ومعروفة في غالبيتها، وتتمثل عموما في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، وأحكام العبادات. لهذا كانت كل من المناهج الدراسية وطرق التدريس المعتمدة دقيقة ومحدّدة، قليلة أو بطيئة التغير.

خصائص البرامج التقليدية في العلوم الإسلامية :

لقد كانت المناهج الدراسية ومحتوياتها، موضوعة بطريقة تخدم الأهداف المسطرة. وهكذا فإن أول كتاب معتمد هو القرآن الكريم الذي كان ولايزال من المستحسن حفظه على ظهر قلب، قبل الإنتقال إلى حفظ مجموعة من الأحاديث الشريفة والإطلاع على فحوى بعض أمهات الكتب في اللغة والآداب والتفاسير.

لقد أصبحت المناهج الدراسية مركزة على تدريب الطلبة على استعمال تقنيات المعلوماتية وأدوات الاتصال، كما عملت المؤسسات التربوية على توفير الوسائل التكنولوجية، من حواسب وشبكات الاتصال وبرمجيات الحواسب، وذلك إلى جانب الكتب. وهكذا أصبحت المناهج الدراسية مركزة على تعلم تقنيات البحث وطرق التوصل إلى المعلومات، والوصول إليها عن طريق استعمال الإعلام الآلي ومختلف الأساليب الإلكترونية في الاتصال، أكثر من تركيزها على استعراض وتعلم كمّ كبير من المعارف، من خلال برامج دراسية طويلة، مكتظة، مرهقة ومملة.

وقد سايرت طرق التدريس هذه التغيرات، بحيث أصبحت تركز على توفير أساليب الحصول على المعرفة، وترك مجالا للأساتذة لمناقشة مختلف القضايا، ومنح فرص للطلبة لمناقشة ما توصلوا إليه من معلومات وقيمتها. كما أصبحت لهم فرص أوفر للنقاش والحوار وإبداء الآراء، وهو ما يساعد على إبراز شخصيات الطلبة، وتنمية قدراتهم على البحث والإبداع. كما أن دور الطلبة لم يبق سلبيا كما هو في المدرسة التقليدية، بل أصبح إيجابيا، حيث أن الطالب أصبح يبادر ويساهم في البحث عن المعلومات ومناقشتها (غيات: 1984).

وقد أدرجت التربية الحديثة، إلى جانب تحصيل قدر من المعرفة-أي تكوين الفرد العارف- (كما هو مبين في شكل1)، تكوين الفرد الباحث وإيجاد الشخصية السامية.

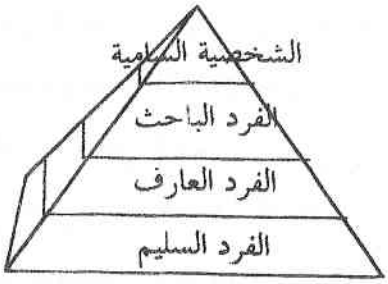

شكل1 : هرم الأهداف التربوية (غيات 2003)

مميزات المناهج الدراسية الحديثة :

لقد تطورت الحياة و تعقدت، و ظهرت متطلبات علمية و فكرية وحضارية جديدة، أصبح من الضروري أخذها بعين الاعتبار. كما أن ارتفاع المستوى العلمي للمواطن العامي و انتشار الوعي نتيجة ظهور وسائل الاتصال المتطـــورة، وضـــع ضغوطا جديدة على متخرجي أقسام و معاهد العلوم الشـــرعية و الإســـلامية، و أصبح من المنتظر منهم الإجتهاد في قضايا مســـتحدثة، و التحكـــم في أســـاليب الإتصال و التعامل مع الغير.

كل ذلك أصبح يتطلب مناهج دراسية جديدة، تعمل على تنمية مـــهارات علمية و فكرية جديدة، حتى تساير التغيرات و المستجدات. إذ لم تعد محتويـــات البرامج الدراسية بأهدافها وطرق إيصالها كافية، بل أصبح من الضـــروري تنميـــة قدرات جديدة مثل الملاحظة و المناقشة و النقد و الإجتهاد، و الإبداع في قضايـــا كان يعتمد فيها على الحفظ و تلقي المعلومات.

في حين انتقل دور الأستاذ و المدرس من الإلقاء و التلقين، إلى الحوار و المناقشة وتوضيح القضايا المنهجية. كما أصبح من الضروري للطالب إتقان أساليب الإتصال من بلاغة الكلام و حسن الإصغاء، و تقبل الرأي الآخر في القضايا الدنيوية و الدعوية التي تحتمل الإجتهاد. كما أصبح من الضروري التمييز بين ما هو عبادي يتطلب تطبيق النصوص، و ما هو دنيوي قابل للإجتهاد، حيث عادة ما تكون الحقيقة نسبية. و هكذا أصبح من الضروري إيجاد فكر علمي منطقي ناقد، قادر على مسايرة التغيرات السريعة التي يعرفها العالم، و ما تأتي به من تحدّيات.

المناهج الدراسية في العلوم الإسلامية ومواجهة التطورات :

لقد تطورت العلوم، وأجهزة برمجيات الحاسوب، إلى درجة أصبحت دقيقة، تحتوي على قدر هائل من المعلومات، وسهلة الاستعمال. كما أنها أصبحت متوفرة في غالب مؤسسات التعليم العالي، وهي أكثر إغراء لاستعمال مما كان من قبل. لهذا فإن الاتجاه الحالي يدفع إلى تكثيف استعمال أجهزة الحاسوب وبرمجياته، مما يحتم تكييف برامج الدراسة وطرق التدريس في العلوم الإسلامية، وإدخال هذه الوسائل في نقل المعلومات وإكتساب المعرفة.

كما يجب تدعيم المناهج الدراسية المقررة، بمواد دراسية مثل علم النفس وعلم الإجتماع، وطرق البحث الإجتماعي و التربصات و البحوث الميدانية، وتقنيات تصميم أدوات جمع المعطيات و طرق التحليل و التوضيح الإحصائي لها، وغيرها من العلوم و التقنيات التي أصبحت سائدة في كليات العلوم الإجتماعية والإنسانية.

ولتلبية بعض متطلبات الطرق الحديثة في التدريس، أصبح لزاما التخفيف من كمية المعلومات التي يقدمها الأساتذة، من أجل توفير الوقت الكافي و التركيز على تقنيات البحث المكتبي والبحوث الميدانية، وأساليب الوصول إلى المعارف. كما يجب التركيز على النقاش والحوار وتعويد الطلبة على النقد البناء والقدرة على إبراز آرائهم وشخصياتهم، وهي نفس المهارات والممارسات التعليمية السائدة في معاهد وكليات التعليم العالي في التخصصات الإجتماعية والإنسانية عموما.

خاتمة:

رغم التطور المذهل الذي يعرفه العالم، في مناهج وأهداف وطرق التدريس، فإن أهداف ومناهج الدراسة والطرق المعتمدة في التدريس، لم تساير التطورات التربوية الهائلة التي يعرفها العالم.

لهذا يجب العمل على تحديد الأهداف والمناهج وطرق تدريس العلوم الإسلامية، لجعلها أقل كثافة، وتقليص اعتمادها على الذاكرة، وادخال مهارات وتقنيات بيداغوجية جديدة تسمح بالتعلم الذاتي المستقل. كما تسمح بالتركيز على تنمية مهارات في الاتصال والحوار، من أجل مواجهة التغيرات العالمية والتحديات المعاصرة.

المراجع

-غيات بوفلجة (1984) التربية ومتطلباتها (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية).

-غيات بوفلجة : (2003) التربية المتفتحة (وهران : دار الغرب).

-غيات بوفلجة : (1989) أهداف التربية وطرق تحقيقها (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية).

-غيات بوفلجة (1999-2000) طرق تدريس العلوم الإسلامية في ضوء البيداغوجيا العصريـــة. التربية، (قطر)، ع. 131-132، ص: 142-151.